

٨٣- الحجُّ وأعمالُ عشرِ ذي الحِجَّةِ.

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله، وقوموا بما فرض الله عليكم من حجِّ بيته الحرام، فإن الحجَّ ركنٌ من أركانِ الإسلامِ ومبنى من مبانيه العظام، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)^(١) فرضه الله عليكم يا عباد الله مرةً في العمر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أيها الناس قد فرضَ الله عليكم الحجَّ فحُجُّوا فقال رجلٌ: أكلُّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)^(٢).

ففريضةُ الحجِّ أيها المؤمنون ثابتةٌ بالكتابِ والسنةِ وبإجماعِ المسلمين قاطبةً إجماعاً قطعياً.

أيها المؤمنون.

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

إن الله تعالى أوجب الحج إلى بيته الحرام على كل مسلم عاقل بالغ حرٍ مستطيعٍ بهاله وبدنه، فمن لم يكن مستطيعاً بهاله فلا حجَّ عليه لقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١)، ومن كان أيها المؤمنون عاجزاً عن الحجِّ بنفسه مستطيعاً بهاله، فإن كان عاجزاً دائماً مستمراً لا يرجى زواله كالمريض مريضاً لا يرجى الشفاء منه، أو الكبير الذي لا يستطيع الحجَّ بنفسه فلينب من يحجُّ عنه فريضة الحجِّ، فعن ابن عباس رضي الله عنه: (أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن فريضة الحجِّ أدركتُ أبي، شيخاً كبيراً، لا يثبتُ على الرحلة، أفأحجُّ عنه؟ قال: نعم)^(٢).

فاتقوا الله عباد الله، وقوموا بهذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين إذا تمت شروط وجوبها.

أيها المسلمون بادروا إلى حجِّ بيتِ الله قبل أن تعرض لكم العوارض، وتمنعكم الموانع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (تعجلوا إلى الحجِّ، فإن أحدكم لا يدري ما يعرضُ له)^(٣)، وقد غلظَ عمرُ رضي الله

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري (١٥١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٦٤) من طريق إسماعيل عن أبيه أبي إسرائيل وقال البوصيري في "الزوائد" (١٧٨/٢): "هذا إسناد فيه مقال، إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملائتي قال فيه ابن عدي: عامة ما يرويه يخالف الثقات، وقال النسائي: ضعيف، وقال الجوزجاني: مفترى زائغ".

لكن يتقوى بحديث ابن عباس عند أبي داود (١٧٣٢) والحاكم (٤٤٨ / ١) وأحمد (٢٢٥ / ١) من طرق عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن مهران أبي صفوان عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: (من أراد الحج

عنه في تأخير الحجِّ بلا عذرٍ بعد تمامِ شروطه، فقال فيما رواه سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح: "لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصارِ فينظروا كلَّ من كان له جدةٌ - أي: سعة من المال - ولم يحجَّ ليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين"^(١).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: "من قَدَرَ على الحجِّ فتركه فلا عليه أن يموتَ يهودياً أو نصرانياً"^(٢).

فليت شعري كيف تطيبُ نفسُ رجلٍ يؤمن باللهِ واليومِ الآخرِ، يسمع هذه النصوصَ وهذا الوعيدَ في حقِّ من ترك الحجَّ مع استطاعته عليه، ثم لا يبادر إلى ما افترضه اللهُ عليه.

أيها المؤمنون.

إن حجَّ بيتِ اللهِ الحرامِ من أعظمِ القرباتِ وأعظمِ الطاعاتِ، وقد ورد فيه فضائلُ كثيرةٌ تدلُّ على عظيمِ مكانتهِ وكبيرِ فضلهِ، فمن ذلك ان الحجَّ سببٌ لتكفيرِ الذنوبِ والسيئاتِ والخطايا، فعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: (من حجَّ فلم يرفثْ ولم يفسقْ رجعَ كيومِ ولدته أمُّه)^(٣)، وعن عبد

فليتعجل).

(١) عزاه الحافظ في التلخيص إلى سنن سعيد بن منصور ٢/٤٨٨.

(٢) أخرجه الترمذي (٨١٧) وقال: "وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ وَهَالِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَجْهُولٌ، وَالْحَارِثُ بَضَعْفٌ فِي الْحَدِيثِ"

(٣) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في قصة إسلام أبيه لما اشترط أن يغفر له، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله)^(١).

ومن فضائله أيها المؤمنون: أنه سبب لدخول الجنة، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)^(٢).

ومن فضائله ياعباد الله: أن الله تعالى يدنو من أهل الموقف يوم عرفة، ويباهي بهم الملائكة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول ما أراد هؤلاء؟)^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله في وصف ما في ذلك اليوم من الفضائل:

ويدنو به الجبار جل جلاله يُبا	هي بهم أملاكه فهو أكرم
يقول عبادي قد أتوني محبةً	وإني بهم برّ أجود وأكرم
فأشهدكم أني غفرت ذنوبهم	وأعطيهم ما أمّلوه وأنعم
فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذي	به يغفر الله الذنوب ويرحم

فلا تفتكم عباد الله هذه الفضائل والمواهب، استبقوا الخيرات وسارعوا إلى المبرات،

(١) أخرجه مسلم (١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

وتزودوا فإن خيرَ الزادِ التقوى، واعلموا أن انقطاعَ السَّفَرِ عن قريبٍ، بل الأمرُ
أعجلُ من ذلك.

فلا تَرَجِّحْ فعلَ الخيرِ يوماً إلى غدٍ
لعلَّ غداً يأتي وأنتَ فقيدٌ^(١)
أيها المؤمنون.

يا من عزمتم على حجِّ بيتِ الله الحرامِ، إليكم أموراً مهمّةٌ لها أثرٌ بالغٌ في تحصيلِ
الفضائلِ المترتبة على حجِّ بيتِ الله تعالى:

أولها: إخلاصُ العملِ لله تعالى فإن الحجَّ خاصةً الحنفيّة، وشعاركم فيه: لبيك اللهم
لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه
وسلم: (إن الله لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً وابتُغِيَ به وجهُهُ)^(٢).

ثانيها: الحرصُ على متابعةِ النبي صلى الله عليه وسلم في أقوالكم وأعمالكم
وأحوالكم الظاهرة والباطنة، وقد حثنا صلى الله عليه وسلم على متابعتِهِ والأخذِ عنه
فقال في حجةِ الوداع: (خذوا عني مناسككم)^(٣).

ثالثها: الحرصُ على تعلمِ أحكامِ المناسكِ قبل الدخولِ فيها، حتى تعبدوا الله تعالى
على بصيرةٍ وهدى، فتعلموا من أحكامِ المناسكِ ما يمكنكم من فعلِها على الوجهِ

(١) دواوين الشعر العربي ١١/ ١٨٥.

(٢) أخرجه النسائي (٣١٤٠)، والطبراني (١٤٠/٨) ح (٧٦٢٨) قال الحافظ في "الفتح"

(٢٨/٦): "إسناده جيد".

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٧)



الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إنكم تستقبلون بعد أيامٍ قلائلٍ موسماً كريماً من مَوَاسِمِ الخيراتِ، تستقبلون أيامَ عشرِ ذي الحجةِ المباركِ، الذي جعله اللهُ محلاً لكثيرٍ من المواهبِ والنفحاتِ، حتى غداً أفضلَ مَوَاسِمِ الخيراتِ، فعن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: (ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيامِ قالوا: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلا رجلٌ خرجَ بنفسِهِ وماله ولم يرجعْ من ذلك بشيءٍ)^(١).

فهذه الأيامُ العشرةُ أفضلُ أيامِ السنةِ وقد فضلها كثير من العلماءِ على أيامِ عشرِ رمضانِ الأخيرِ وأما لياليها فهي من أفضلِ الليالي، ويكفيها فخراً وشرفاً وفضلاً إقسامُ اللهِ تعالى بها، حيث قال: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾^(٢) وقد حثنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على العملِ الصالحِ بأنواعه وصنوفه في هذه الأيامِ، فأكثرُوا عبادَ اللهِ من الأعمالِ الصالحةِ في هذه الأيامِ، واغتنموها بالأعمالِ الصالحةِ بما يعودُ عليكم بالأجرِ والثويةِ يومَ القيامةِ فبادروا فيها بالأعمالِ الصالحةِ مادامَ في العمرِ مهلةً، وفي الوقتِ متسعٌ.

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩) حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) سورة الفجر: ١-٢.

أيها المؤمنون..

إن أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه تعالى في هذه الأيام الإكثار من ذكره جلّ وعلا قال الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾^(١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الأيام المعلومات أيام العشر" وهو قول جماعة من المفسرين، وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد)^(٢).

فأكثروا أيها الأحباب من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، وقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر والله الحمد، في كل أوقات هذه العشر، وفي جميع الأماكن، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهما كانا يخرجان إلى السوق في أيام العشر، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما^(٣). واعلموا أن الذكر في هذه الأيام أفضل الأعمال، بل هو أفضل من الجهاد غير المتعين. ومن الأعمال الصالحة المتأكدة في هذه الأيام الصيام، خاصة صيام يوم عرفة، فقد روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده)^(٤).

(١) سورة الحج: ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد (٥٤٢٣)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) علقه البخاري في فضل العمل أيام التشريق قبل حديث (٩٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه

ومن الأعمال المشروعة في هذه الأيام الاستعداد للأضحية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (من كان له ذبحٌ يذبحه، فإذا أهلَّ هلالٌ ذي الحجة، فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحى)^(١).

وفي لفظ: (إذا دخلت العشر، وأراد أحدكم أن يضحى فلا يمَسَّ من شعره وبشره شيئاً)^(٢)، وهذا الحكم يخص المضحى نفسه دون أهل بيته من الأولاد والنساء، فاحرصوا أيها المسلمون على مواسم الخير فإنها سريعة الانقضاء

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويصبح ذو الأعمال فرحاناً جاذلاً

وأكثرها فيها من الأعمال الصالحة وتعرضوا لنفحات الله ومواهبه، فإن عجز أحدكم عن ذلك فلا أقل من أن يكف شره، وينتهي عن المعاصي، فإن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل أعمال البر، فذكر له صلى الله عليه وسلم أعمالاً ثم قال الرجل: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق، قال: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال صلى الله عليه وسلم: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك)^(٣).

واعلموا أيها الإخوان أن هذه الأيام هي من أفضل الأيام، فالحسنات فيها مضاعفة والسيئات مغلظة معظمة، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة.

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.